سيكولوجيا الجنس والحب والزواج

ما من ظاهرة إنسانية، لها أبلغ الأثر، فى حياة الإنسان، مثل ظاهرة العلاقات العاطفية والجنسية، بين الرجل والمرأة. وهى قديمة، فقد بدأت مع ظهور الإنسان ذاته، فما إن بدأ الإنسان يمارس حياته على ظهر البسيطة حتى عملت هذه الظاهرة عملها فى النفوس، وقصة ابنى آدم (قابيل وهابيل) خير شاهد على ذلك.

والحب كلمة قد يستخدمها الإنسان لوصف كثير من الظواهر والعلاقات الاجتماعية فى محيط حياته، وما أكثرها (كعلاقته بأسرته، وأصدقائه، وعمله وهواياته، ووطنه، بل وخالقه)، بيْد أننا هنا، نعنى بها الحب، الذى يحركه الجنس، بين رجل وامرأة.

وإذا كان النمو العقلى والنضج النفسى قد أتاحا للإنسان أن يهذب من غريزة «إشباع الجوع» بالإقبال على الطعام، بعد إعداده، وليس فى صورته «الخام»، كما هو الحال عند مختلف صنوف الحيوان، فإن هذا الرصيد العقلى والنفسى ذاته لدى الإنسان، هو الذى شكل هذه الغريزة وأججها، وجعله يفكر فى الأساليب المختلفة التى تعمل على إطفاء لهيبها، كلما اشتعلت، ويهدئ من ثورتها كلما تهيجت، من باب «وداونى بالتى كانت هى الداء»؛ ولذلك فقد نزعم أن الحياة

الجنسية: عند الحيوان، هى أكثر نظاما منها عند بعض بنى الإنسان؛ لأن الحيوان يطيع فيها فطرته النقية، التى فطره الله عليها، طاعة عمياء- لا يغير فيها ولا يبدل، أما الإنسان، الذى اتسعت أمامه فرص الاختيار (بالعقل والتدبير)، فهو فى معظم الأحيان (على غير ما كان ينتظر منه) يطيع فيها هواه!

والواقع أنه كثيرا ما فُهم الجنس- ولا يزال- على أنه حاجة بيولوجية بحتة، مثله مثل الجوع والعطش، وأن أهميته بالتالى-على الصعيد المعنوى- لا تفوق أهمية تلك الحاجات. وقد اتُخِذ هذا المفهوم منطلقا لموقفين يستند إليه كلاهما، على رغم تباينهما، الأول: يبرر الإباحية لأن العمل الجنسى شبيه «بشربة ماء» ليس إلا. والثانى: يدعو إلى التزمت، لكونه يعتبر الحاجة الجنسية مجرد حاجة جسدية، وبالتالى لا تستحق سوى اهتمام جانبى. وانحراف هذا المفهوم عن الصواب أنه نابع من نظرة خاطئة إلى الكيان الإنسانى. وهذه النظرة تعود إلى أفلاطون وقد جددها ديكارت فانتشرت وطبعت الفكر الإنسانى لحقبة طويلة من الزمن. تلك النظرة هى الثنائية التى تفصم بين النفس والجسم ككيانين منفصلين، لكل منهما استقلاله وإن كانا فى علاقة تبادلية مع بعضهما، بيْد أن هذه النظرة لا تثبت إذا قورنت بواقع الاختبار الإنسانى، وقد تجاوزها الفكر الحديث، بتحليله لهذا الاختبار وبالاستناد إلى المعطيات العلمية، يقر الآن وحدة الكيان الإنسانى ولا يرى الجسد كما كان يراه ديكارت، مجرد آلة

يقابلها فكر، بل تعبير حى عن الشخص ومكان حضوره فى الكون وبين الآخرين، كما أن الكلمة هى مكان حضور المعنى. من هنا ينتج أنه ليس فى الإنسان من حاجات بيولوجية بحتة[1].

أما الزواج فالمقصود منه، بيولوجيا وشرعيا وسيكولوجيا، حصول الذُريّة، التى يَبْقى بها النوع الإنسانى، فضلا عن إعفاف النفس، نفس الزوج ونفس الزوجة، عن الزنا، بالاستغناء عن الحرام بهذا الحلال المباح. فالإشباع الجنسى الفطرى أو الغريزى، كما يحلو للبعض أن يدعوَه، فى نطاق ما أحل الله على جانب كبير من الأهمية. إذ إن الكبت الناجم عن قمع هذه الحاجات الفطرية- كما قرر علماء النفس الثقات، والذى يتمثل فى الامتناع عن إتيان العمل الفطرى، الذى تدفع إليه الطاقة الشهوية فى الإنسان- أقول إن هذا الكبت ينشأ من استقذار العمل الفطرى، ومن عدم اعتراف الإنسان، فى داخل نفسه، بأنه لا يحق له، أن يفكر فى إتيان هذا العمل. ويستقر فى وجدانه ، إن إنكاره لهذه الرغبة (الطبيعية) وعدم إشباعها إنما تمليه طاعته للذات العليا التى تمثل سلطة الوالد أو الإله ...، أى طاعة لقوة جبرية تحرم الفرد هذا الإحساس ومن هذا الصراع بين الرغبة الطبيعية فى الإشباع الفطرى الحلال ، وبين الحرمان أو العيب من مجرد الحوار فى مثل هذه الموضوعات ينشأ الكبت، الذى هو

---

(١) كوستى بندلى (١٩٧٩). الجنس ومعناه الإنسانى. مكتبة نبع الفكر. مصر. ص١٥.

أصل لكل الاضطرابات النفسية، والعصبية المعروفة. وعلى سبيل المثال: فإنه عندما يحس الفتى المراهق بالرغبة فى الجنس الآخر لا يحتاج- فى الإسلام- أن يستعيذ بالله من مجرد هذا الإحساس؛ لأن الإسلام يقرر له، فى صراحة تامة، أن هذا أمر طبيعى، لا خلاف عليه ولا نكران له؛ وعلى ذلك لا ينبغى له أن يُكبِت هذا الشعور بهذه الرغبة؛ لكى يبدو طاهرا فى نظر الناس، ونظر نفسه، وأمام الله. ولا يحتاج كذلك أن يشعر بالإثم، من مجرد إحساسه بالرغبة الجنسية، ومن ثم تنتفى كل الاضطرابات النفسية والعصبية، التى تنشأ من الشعور بالإثم، والتى قد تؤدى إلى الجريمة، فى حالات الشذوذ.

وعلى الجانب الآخر، ينبغى التنويه إلى أن الإسلام لم يبح للفرد أن يطيع هذا الهاتف كيفما اتفق، وعلى أى وجه كان؛ وإنما قد وضع لذلك الحدود الشرعية، التى يكون مباحا فى إطارها، مُحَرّما ومُجَرّما فيما وراءها. وعلى ذلك فإن الإلزام الخُلقى يستبعد الخضوع المطلق مثلما يستبعد الالتزامُ الحرية المطلقة (الفوضوية)؛ ليوضَعَ الإنسانُ فى موضعه الصحيح، بين المادة الصرف والروح المحض.

الغريزة الجنسية وحفظ النوع:

والغريزة الجنسية متصلة بغريزة الأبوة أو الأمومة اتصالا تاما، ولذا يفضل أن تسمى هاتان الغريزتان معا بالغريزة التناسلية؛ إذ إن الغريزة الجنسية تمثل الدور الأول للغريزة التناسلية، وغريزة الأبوة تمثل

الـدور الثانى لهـا، والغاية منهما واحدة وهى التناسـل، وحفظ النوع البشـرى من الانقطاع والانقراض[1]، ومن ثم إعمار الكون؛ وعلى ذلك فهناك من الفقهاء من يقول بأن هذه السنة الطبيعية، أى الزواج لإنجاب الذرية، هى وإن كانت حقا شـخصيا من حقوق الأفراد، فهى أيضا حق للأمة؛ إذ إن قطعْ النسل المطلوب شرعا من الزواج، فيه صرف السيل عن واديه، مع حاجة الطبيعة إليه، واستعدادها للإنبات والإثمار، لما ينفع النـاس ويعمر الكون[2]، ولذلك يحث الإسـلام علـى التبكير بالزواج، ففى إشـباع هذه الغريزة الفطرية حفظ للآداب وتقوية للنسـل، وحث على السـعى فى طلب الرزق. أمـا كبتها، فيؤدى إلى اضطرابات عصبية ونفسـية، وربمـا يؤدى- تحت بعـض الظروف- إلى سـلوك مرفوض وعادات سـيئة. ويلخص القرآن الكريم هذا كلـه فى لغة لا نجد أرقى ولا أبلغ منها، فاقرأ معى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم: ٢١، وقولـه تعالى: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ الأعراف من الآية ١٨٩.

---

(١) محمد عطية الإبراشى (١٩٧٠). مكانة المرأة فى الإسلام. دار الشعب. القاهرة. ص٦٨.

(٢) الإمام الأكبر محمود شلتوت (١٩٨٠). الإسلام عقيدة وشريعة. الطبعة العاشرة دار الشروق بالقاهرة. ص٢٠٣.

وتأتى نتيجة لهذا السكن والمودة والرحمة والحب والود والتواصل الجنسى الذرية التى هى قرة عين الآباء والأمهات، وهى أيضا حاجة فطرية، وفى هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ النحل: ٧٢. وحينما قال الله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ﴾ البقرة: ٢٢٣. والمعنى يشير إلى أن الحرث الذى يسبق البذر، عند الباذر، إنما يكون لوضع البذور، التى ستنبت زرعا جديدا، أى لابد أن يكون واضحا، لدى الإنسان، أن الهدف النهائى للعلاقات الجنسية هو الإنجاب[1].

وعلى ذلك، فيقع على المجتمع مسئولية كبرى، تتمثل فى تيسير سبيل الزواج للراغبين فيه، والقادرين عليه، لا أن يعقّده بالمغالاة فى المهور والحفلات باهظة التكاليف والمظاهر التى لا يستطيع أن يفى بها إلا العاطلون بالوراثة أو الذين يشوب طرقهم فى اكتساب المال الوفير فى وقت وجيز شوائب لا يعلمها إلا الله، وبعض العالمين ببواطن الأمور، ثم بعد ذلك يكون مصير معظم هذه الزيجات الفشل الذريع. فلابد أن يكون الهمُّ الأكبر لولى الأمر هو دين الرجل وخلقه ومصداقيته، فهذه الضوابط – لا المال– هى التى تبنى الأسرة ولا تهدمها، وهى التى

---

(١) د. موريس بوكاى (ب. ت.). القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث، دار المعارف.

تجعـل الزوج يحافظ على زوجته، فإن أحبها أكرمها، وإن بغضها فلن يظلمها، كما ورد عن نبينا، صلوات الله وسلامه عليه.

تنظيم العلاقة الجنسية:

المسـألة الجنسـية تتأرجح بين الضرورة والضـرر[1].. فهى ضرورة تـؤدى بقدرها، وضـرر ينبغى الحذر من المغالاة فيـه، وقد نظمها الله تعالى فى عـالم الحيوان، حيث تنتظم هذه الغريـزة الفطرية، وترتبط بمواسم معينة للنشاط الجنسـى، حتى إذا تمت المهمة وحملت الإناث بذور الذرية القادمة، صام كل من الذكر والأنثى صياما، ينشـأ من عدم توفر الرغبة فى تلك الأثنـاء، لا من ضبطها وتقييدها بإرادة الحيوان. أما الآلية التى تفسـر ذلك، من الناحية الحيوية، فتتمثل فى تغيرات فسـيولوجية وكيميوحيوية على أثر الحمل، هى التى تؤدى إلى النفور من إتيان هذه العملية، تحت هذه الظروف، بقدرة الله تعالى.

أما فى حالة الإنسـان فقد تـرك الله له الاختيار، فى ضوء من هداية الكتاب والسـنة، وضوء العقل، الذى منحه الله تعالى لكل إنسان، وهو به مكلف ومسـئول؛ ولذلك نرى النبى – صلى الله عليه وسـلم– حينما

---

(١) الأسـتاذ محمد قطب (١٩٨٨). الإنسان بين المادية والإسلام. الطبعة التاسعة دار الشروق بالقاهرة. ص١٦٥.

سئل عن وطء الزوجة، فيما بين الإقلال والإكثار، كان جوابه- صلى الله عليه وسلم: «إنه مخ ساقيك ونور عينيك فأقلل منه أو أكثر».

ويؤثر عن النبى- صلى الله عليه وسلم- قوله لصحابته- رضوان الله عليهم: «وفى بُضْع أحدكم صدقة»، قالوا: أيأتى أحدنا شهوته ويكون له بها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر؟ قالوا: نعم. قال: فكذلك، إذا وضعها فى الحلال، كان له بها أجر»[1].

. فالآن باشروهن»:

يقول الشيخ الدوسرى: حينما شرع الله الصيام، فى السنة الثانية للهجرة، فهم الصحابة رضوان الله عليهم من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣. أن التشبيه يتناول كيفية الصوم، فحصل لبعضهم أن نام قبل أن يفطر، ثم استيقظ فواصل صيامه، إلى اليوم الثانى، وكان عاملا فأضره الصيام، حتى غشى عليه، وبعضهم وقع على أهله فى الليل، وتحرّج مما فعل فارتفعت الشكاوى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله هذه الآية: ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ

---

(١) رواه الإمام مسلم.

وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ البقرة: ١٨٧. وقد ظن بعض المفسرين أنها ناسخة لقوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ البقرة: ١٨٣. وبعضهم قال: ليست ناسخة، وهو الصواب، لأنها مبنية على الإجمال الذى فيها، وأن التشبيه ليس عاما من كل الوجوه كما فهموه باجتهادهم وحصل عليهم الحرج، وإنما هو تشبيه منه تعالى فى الفرضية، لا فى الكيفية، فكانت هذه الآية الكريمة مُبَيِّنة لما امتاز به صومنا، من الرخصة والتسهيل، الذى لم يحظ به مَن قبلنا. وقوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾البقرة: ١٨٧. فيه تعليل واضح لرخصة المباشرة والقربان، فهو قول مستأنف، ساقه الله تعالى لبيان سبب الحكم، من كونهن لباس لكم وأنتم لباس لهن، فسمى امتزاج كل واحد من الزوجين بصاحبه لباسا؛ لانضمام الجسدين وامتزاجهما، وتلازمهما تشبيها بالثوب. فكأنه سبحانه وتعالى يقول: إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة، قل صبركم عنهن، وصعب عليكم اجتنابهن؛ فلذلك رخَّصْتُ لكم فى مباشرتهن. (ويقال لما ستر الشئ وواراه: لباسٌ) فجائز أن يكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل، كما ورد الخبر: «من تزوج فقد أحرز ثلثى دينه»[1].

---

(١) الشيخ عبد الرحمن الدوسرى (١٩٨٤). الصوم مدرسة تربى الروح وتقوى الإرادة. مكتبة الرشيد الرياض. ص١٢٠.

وهـذا منتهى اللطف من الله تعالى بعباده، وليعلم الناس أن الدين ليس سيفا مسلطا على رقاب العباد. وإنما هو من قبل ومن بعد: رحمة من الله صاحب الدين وخالق العباد، العالم الحق بما يصلحهم، ويعالج أدواءهم، الذى أحاط بالظاهر والباطن من أمورهم، الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء، أليس هو القائل سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ الملك: ١٤.

وكذلك، فإن العلم الحديث يقرر أن هذه العملية (الجنسية) ضرورية وهامة، ليس فقط لكونها السبب المباشر فى تعاقب الأجيال، ولكن ممارستها، فى حدود التوسط والاعتدال، الذى يعتمد على عوامل كثيرة، كالحالة الصحية، والظروف النفسية، والعناصر الغذائية، والمرحلة العُمْرية وغيرها؛ هذه الممارسة المتوازنة، هامة جدا لصحة الجسم والنفس بل والعقل أيضا. ومن ثم فالإنسان، الذى تحرر من القيود، التى خضع لها الحيوان، وصارت الأيام كلها، موسما صالحا لهذا النشاط، تقع عليه مسئولية الاختيار، وهذه سنة الحياة ومنطق الأشياء، فحينما تزيد مساحة الاختيار يزيد قدر المسئولية. وهذه التبعة تقتضى أن يقوم الإنسان بتنظيم مشاعره الجنسية، وضبطها بحيث تحقق أهدافها المرجوة، ولا تعود على الإنسان بالضرر، سواء فى نطاق الفرد أم على مستوى الجماعة، فى نَهْج وَسَطِى، غير معهود إلا فى شريعة الإسلام[1].

---

(١) د. محمد فتحى فرج (٢٠٠٥). من القيم الحضارية فى القرآن الكريم. مجلة «الأزهر»، العدد الثانى من المجلد الثانى والسبعين.

الحب والزواج والجنس:

والواقع أن هناك بعض الاختلافات بين الجنسين، وعلى سبيل المثال، يقرر عالم النفس المعروف يونج: أن المرأة في العشرين من العمر هي- من الناحية السيكولوجية- أكبر من رجل في الخامسة والعشرين؛ ففي كثير من الرجال لا يتم النضج النفسي حتى الخامسة والعشرين، فالفتى، الذى نضج من الناحية الجنسية، يظل طِفْلِيَّ النزعات، وتحفزه الرغبات الجنسية إلى إشباعها. أما النزعات الجنسية في الفتاة، فتظل في سُبات، بالرغم من بزوغ علامات البلوغ، إلى أن يوقظها الهوى[1].

ويضيف يونج: إن من النساء عددا كبيرا لا تتيقظ لديهن النزعات الجنسية حتى عند الزواج، فيبقين في الحالة العذرية طويلا، وربما لا توقظ هذه النزعات إلا حينما يقعن في حبائل عاشق غير الزوج، وهذا يدل على أن كثيرات جدا من النساء لا يفهمن النزعات الجنسية في الرجل لأنهن لا يفهمن إلى حد كبير نزعاتهن الجنسية في حد ذاتها. أما الرغبات الجنسية في الرجال فإنها تثور بقوة فيهم فهم لا يجدون مناصا من إشباعها. ويندر أن نجد فتى لا يأتي العملية السرية. وقد تأتيها الفتاة دون أن تفهم أنها نزعة جنسية. هذا ومن شأن اشتعال

---

(١) فرويد، أدلر، يونج (ب. ت.). طب العقل والنفس. ترجمة د. محمد حسني ولاية. القاهرة. ص٤.

الرغبة الجنسية فى الفتى أن تُحدث تأثيرا كبيرا فى نفسيته، فهو وإن تكن له قوة جنسية الرجل فليس له إلا روح طفل. وقد تنشأ عن ذلك اضطرابات فجائية فى الأخلاق؛ لأن هضم المسائل الجنسية المعقدة يخلق صعوبات جمة بالرغم من أن الفتى لا يكون واعيا لهذه المشكلة. وينطوى انبجاس (تفجر) البلوغ على تغيير محسوس فى الجسم، وفى عملياته التحولية، من شأنه أن يُفقد نفسية الفتى توازنها، فتمتلئ مخيلته بالنزوات الجنسية، وما هى إلا تعبير عن فقدان التوازن النفسى، ويترتب على ذلك أن ذوق الفتى وأمانيه، وكل ما يثير اهتمامه، تتغير تغيرا كبيرا، فقد يقع فجأة فى حب عنيف مع فتاة، ولكنه سرعان ما تخبو لديه عاطفة هذا الحب، وقد تتكرر هذه الأخطاء فى علاقاته الجنسية إلى أن يعى، أن ذوقه وحكمه على الأمور، قد فقد توازنه فى هذا الدور، فهو مازال يجرب الحياة، ولا يستطيع أن يُكَوِّن رأيا صحيحا عنها، إلا إذا قلبها على كل وجوهها[1].

هذا، وتعمل العلاقات الزوجية- لاسيما إذا أثمرت أطفالا- على توفير مدى أرحب من العلاقة الاجتماعية والنفسية، وتدعيم الثقة المتبادلة والتفاهم، وهذا ما يطلبه بالضبط المتزوجون؛ ليشعروا بالسعادة والثقة بقدر أكبر مما هو متاح عادة لغير المتزجين، بل ويشعر بها من

---

(١) المصدر السابق، الموضع نفسه.

رزقـوا أطفالا من المتزوجين أكثـر من الذين حرموا نعمـة الذرية؛ إذ إن دمج العلاقات الجسـدية والروحية يعمل على تناغم وانسجام ردود الفعـل العاطفية للأحبة ويزيد من معرفتهم لبعضهم، ويبدو ذلك جليا فى المجال الجنسى أيضا.

وعلى الجانب الآخر فإن المشاكل المادية الحياتية قد تُضعف من حِدة وعذوبة المشـاعر العاطفية لدى الزوجين، ومن ثـم فقد تتناقص القدرة الجنسـية، والإشـباع الناتج عن نوعيتها مع الوقت، ولا يعود ذلك فى كل الحالات إلى شـيخوخة الزوجين؛ إذ إنه قد يلاحظ حتى فى سـنى الزواج الأولى لأزواج شـباب، وربما أيضا نتيجـة لعلاقاتهم المتبادلة، التى تنعدم فيها البهجة والصراحـة والعفوية والتجديد. ويعتبر عدم الإشباع الجنسى وزوال التآلف أحد أهم أسباب طلب الانفصال والأمراض العصبية، وتُشـكل المصاعب المعيشية، ومنها المشاكل الجنسية، حوالى ٦٥٪ من الأمراض العصبية[1].

ولا يعتـبر الزواج قيـدا أو واجبات متبادلة ببسـاطة، فهو اتصال جسدى وثيق يؤدى فيما يؤديه إلى تزامن بعض العمليات الفسيولوجية عند الزوجين كحرارة البدن وتواتر ضربات القلب والدورات الهرمونية، حتى إن ذروة مسـتوى هرمون التِسْتُسْتيرون فى دم الزوج تأتى متوافقة

---

(١) إ. س. كون (١٩٩٣). علم نفس الجنس. ترجمة د. منير شـحود. دار الحوار للنشر والتوزيع باللاذقية، سوريا. ص١٠٥.

مع ارتفاع مستواه عند الزوجة فى الزمن الموافق من الدورة الحيضية، ومن المفترض أن يساعد ذلك على تزامن الرغبات الشبقية عند كليهما، وفضلا عن ذلك فإن بعض المواد عند الرجل وخاصة الإفرازات الإبطية تنشط وتساعد على تنظيم الدورة الحيضية عند المرأة، مع أن الآليات العصبية- الغدية لهذه التزامنات ليست واضحة تماما. ويعتقد بعض العلماء أن الوظيفة الوسيطة تعود- كما هو الحال عند الحيوانات- إلى الفيرومونات التى لم يتأكد وجودها عند الإنسان بعد. غير أن تزامن بعض العمليات الفسيولوجية قد لا يكون نتيجة للمعاشرة الجنسية فحسب، بل والنفسية أيضا. إذ إن الزوجين يكتسبان، بالمعاشرة، تفردا روحيا وفيسيولوجيا نفسيا، لا ينحصر بالمجال الجنسى فحسب[1]، حتى إن أحد الزوجين قد ينظر فقط إلى الآخر، فيفهم هذا ما يريده الأول، دون أن ينبس ببنت شفه، مما يثير دهشة الحضور، وإعجابهم فى الوقت نفسه. وقد تلجأ مكاتب استشارية لشئون الزواج والأسرة، التى انتشرت فى الغرب، منذ عقود- بدأت تظهر مؤخرا فى بلادنا- قد تلجأ هذه المكاتب إلى إجراء اختبارات تشخيصية نفسية تسمح بتعيين وتوقع درجة التلاؤم النفسى للزوجين لمدة طويلة. ويشار فى هذا المضمار إلى أعمال عالم النفس الأمريكى روبين Rubin، الذى اقترح طريقة بسيطة نسبيا لتوقع تطور العلاقات المتبادلة للزوجين على أساس الحب والود

---

(١) المصدر السابق، ص١٠٨.

والانجذاب. أى تلك المشاعر التى تتلخص بكلمة « إعجاب» ، وحتى فى الحديث العادى فإن الحب والود يختلفان ليس كميا فقط (الحب شعور أعلى من الود) بل وكيفيا أيضا. إذ إن «الود» هو موقف إيجابى غير متمايز لهذه الدرجة أو تلك، والعلاقة مع إنسان آخر تسيطر عليها قدرة تقييمية ذاتية. فيمكن أن ينال الإعجاب ذلك الشخص، الذى عنده صفات إيجابية ومرغوبة، أو من تلصق به مثل هذه الصفات. وليس هذا ضروريا فى الحب، إذ لا يمثل الحب هذا فحسب، بل وحاجة عنيفة لهذا الشخص بالذات، وانجذابا نحوه ورغبة بامتلاكه، والاهتمام به وتلبية حاجاته بغض النظر عن تقييم صفاته. ويمكن ألا يكون المحبوب محط الإعجاب، وهذا الذى يكون محط الإعجاب قد لا يكون محبوبا. الأمر الذى جعل روبين يعد مؤشرين منفصلين هما الحب والإعجاب، وأعد لكل منهما اختبارا خاصا، وقد أثبتت هذه الاختبارات، أن المعدلات المرتفعة الخاصة بمؤشر الحب، كانت تسمح بتوقع تقدم هؤلاء الشباب نحو الزواج، بصورة مؤكدة ودقيقة، مقارنة بمعدلات مؤشر الود[1]! هكذا لم يعد الحب والزواج والجنس من الأمور المحظورة على العلم، فبدون الحب لا يمكن أن يكون هناك دافع جنسى، وبدون هذا الدافع الجنسى القوى لا يمكن أن يكون هناك زواج!

---

(١) المصدر السابق، ص١٠٩.

وصية زوجة سعيدة:

ولعلـه من المناسـب هنـا أن نذكر وصيـة مُجرَّبة للزواج السـعيد والاسـتقرار الأكيد، أوصت بها أمامـة بنت الحارث، وهى زوج عوف بن مُحلِّم الشـيبانى، ابنتها أم إياس، حـين تزوجها عمرو بن حجر، وهو جـد امرئ القيس، وهى وصية تصلح لـكل زواج تقبل عليه بنات حـواء، قالت: «أىْ بنية. إنك فارقت الجو الذى منه خرجت، وخلفت العـش الذى فيـه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقريـن لم تألفيه، فكونى لـه أمـة يكن لك عبدا، واحفظى له خصالا عشـرا يكن لـك ذخرا، أما الأولى والثانية: فالخشـوع له بالقناعة وحسـن السمع له والطاعة. وأما الثالثـة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينيه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشـم منك إلا أطيب ريح. وأما الخامسـة والسادسة: فالتفقد لوقت منامـه وطعامه، فإن تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة. وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر فى المال، حُسْـن التقدير، وفى العيال حسن التدبير. وأما التاسـعة والعاشـرة: فلا تعصين له أمرا، ولا تفشين له سرا، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشـيت سـره لم تأمنى غدره. ثم إياك والفـرح بـين يديه إذا كان مهتمـا، والكآبة بين يديـه إذا كان فرحا. وكونى أشـد مـا تكونين له موافقة، يكن أطول مـا تكونين له مرافقة،

واعلمـــي أنك لا تصلين إلى ما تحبين، حتـــى تؤثرى رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك.

فيالها من زوجة عاقلة. انتفعت بما نصحت فسعدت؛ ومن ثم أرادت أن تســعد ابنتها، وكل ابنة أخرى مقبلة مثلها على الزواج. والواقع أن التربية السليمة من الناحية الدينية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية هى فى الواقع أكبر عاصم لأبنائنا وبناتنا، فى هذه المرحلة الخطيرة من حياتهم. فالسعيد السعيد من وعى ذلك، وواءم بين مطالب المادة وأشواق الروح على ما أوضحه القرآن الكريم فى آياته المباركات من قيم حضارية باقية بقاء الإنســان تهدف إلى سعادة البشــرية، تحقيقا لآيات الله فى جمال الكون، المتناغم فى توازن واعتدال، فالذى أنشــأ الذكر هو الذى خلق الأنثى، ليبقى الإنسان بحق خليفته على الأرض.